مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ
تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ
فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ
فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ
عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

سُورَةُ الْحُجُرَاتِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ
فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ
لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ
قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

٥١٥

معانى الكلمات :

يبتغون : يتطلعون .

شطأه : فراخه .

فآزره : قواه وأعانه .

على سوقه : على أصوله .

تقدموا : تتقدموا .

تحبط : تبطل .

يغضون : يخفضون .

امتحن : أخلص وأصفى .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم صفة أصحاب رسول الله ﷺ تلك الجماعة المختارة .

٢ ـ أن نتعلم الأدب اللائق مع الله ورسوله ﷺ .

٣ ـ أن نتعلم الأدب الأليق فى الحديث والخطاب عن رسول الله ﷺ .

المحتوى التربوى :

نجىء إلى ختام السورة بتلك الصورة الوضيئة التى يرسمها القرآن لواقع صحابة رسول الله ﷺ ، وبذلك الثناء الكريم على تلك الجماعة الفريدة السعيدة التى رضى الله عنها ، وبلغها رضاه فردًا فردًا ، صورة عجيبة مؤلفة من عدة لقطات لأبرز حالات هذه الجماعة المختارة ؛ فلقطة تصور حالتهم مع الكفار ومع أنفسهم ، فهم أشداء على الكفار وفيهم آباؤهم وإخوتهم وذوو قرابتهم وصحابتهم ولكنهم قطعوا هذه الوشائج كلها، رحماء فيما بينهم وهم فقط إخوة دين، فهى الشدة لله والرحمة لله، وهى الحمية للعقيدة ، والسماحة للعقيدة ، فليس لهم فى أنفسهم شىء، وهم يقيمون عواطفهم ومشاعرهم كما يقيمون سلوكهم وروابطهم على أساس عقيدتهم وحدها.

ثم يختار من هيئاتهم وحالاتهم ، هيئة الركوع والسجود وحالة العبادة ، وكأنما هذه هيئتهم الدائمة التى يراها الرائى حيثما رآهم ، وتأتى اللقطة الثالثة لبواطن نفوسهم وأعماق سرائرهم ، وهى صورة لمشاعرهم الدائمة الثابتة ، فكل ما يشغل بالهم وكل ما تتطلع إليه أشواقهم هو فضل الله ورضوانه ، ولا شىء وراء الفضل والرضوان يتطلعون إليه ويشتغلون به .

واللقطة الرابعة تثبت أثر العبادة الظاهرة والتطلع المضمر فى ملامحهم، ونضحها على سماتهم؛ سيماهم فى وجوههم من الوضاءة والإشراق والصفاء والشفافية ، ومن ذبول الحى الوضىء اللطيف ، وليست هى هذه السيما هى النكتة المعروفة فى الوجه كما يتبادر إلى الذهن ، فالمقصود بأثر السجود هو أثر العبادة ، وهذه الصورة الوضيئة ليست مستحدثة ، إنما هى ثابتة لهم فى لوحة القدر وجاء ذكرها فى التوراة .

وصفتهم فى بشارة الإنجيل بمحمد ﷺ ومن معه ؛ كزرع نام قوى أخرج أول ما ينشق عنه من الفروع ، والنبت الطرى فى جوانبه من قوته وخصوبته ، وهذه الفروع لا تضعف العود بل تشده ، فاستغلظ الزرع وضخمت ساقه وامتلأت ، فاستوى لا معوجا ومحنيا ، ولكن مستقيما قويا سويا ، هذه صورته فى ذاته ، أما وقعه فى نفوس أهل الخبرة فى الزرع فهو وقع البهجة والإعجاب ، وأما وقعه فى نفوس الكفار على العكس : فهو وقع الغيظ والكمد ، وهكذا يثبت الله فى كتابه الخالد صفة هذه الجماعة المختارة حتى تبقى نموذجا للأجيال تحاول أن تحققها ، لتحقق معنى الإيمان فى أعلى الدرجات ، وفوق هذا التكريم كله وعد الله بالمغفرة والأجر العظيم

سورة الحجرات

أول ما يبرز للنظر عند مطالعة السورة ، هو أنها تكاد تستقل بوضع معالم كاملة لعالم رفيع كريم نظيف سليم ، متضمنة القواعد والأصول والمبادئ والمناهج التى يقوم عليها هذا العالم ، والتى تكفل قيامه أولا ، وصيانته أخيراً ، عالم يصدر عن الله ويتجه إلى الله ، ويليق أن ينتسب إلى الله ، عالم نقى القلب نظيف المشاعر ، عف اللسان ، وقبل ذلك عف السريرة .

هو عالم له أدب مع الله ، ومع رسول الله يتمثل هذا الأدب فى إدراك حدود العبد أمام الرب والرسول الذى يبلغ عن الرب ، فلا يسبق العبد المؤمن إلهه فى أمر أو نهى ، ولا يقترح عليه فى قضاء أو حكم ، ولا يتجاوز ما يأمر به وما ينهى عنه ، ولا يجعل لنفسه إرادة أو رأيا مع خالقه ، تقوى منه وخشية ، وحياء منه وأدبا ، فيأيها الذين آمنوا لا تقترحوا على الله ورسوله اقتراحا ، لا فى خاصة أنفسكم ، ولا فى أمور الحياة من حولكم ، ولا تقولوا فى أمر قبل قول الله فيه على لسان رسوله ، ، ولا تقضوا فى أمر لا ترجعون فيه إلى قول الله وقول رسوله .

فهو أدب نفسى مع الله ورسوله ،وهو منهج فى التلقى والتنفيذ ، وهو أصل من أصول التشريع والعمل فى الوقت ذاته ، وهو منبثق من تقوى الله وراجع إليها ، هذه التقوى النابعة من الشعور بأن الله سميع عليم ، وكذلك تأدب المؤمنين مع ربهم ومع رسولهم ، فما عاد مقترح منهم يقترح على الله ورسوله ، وما عاد واحد منهم يدلى برأى لم يطلب منه رسول الله ﷺ أن يدلى به ، وما عاد أحد منهم يقضى برأيه فى أمر أو حكم ، إلا أن يرجع قبل ذلك إلى قول الله وقول الرسول .

والأدب الثانى هو أدبهم مع نبيهم فى الحديث والخطاب ، وتوقيرهم له فى قلوبهم ، توقيراً ينعكس على نبراتهم وأصواتهم ، ويميز شخص رسول الله بينهم ، ويميز مجلسه فيهم والله يدعوهم إليه بذلك النداء الحبيب ، ويحذرهم من مخالفة ذلك التحذير الرهيب .

ونوه الله بتقواهم وغضهم أصواتهم عند رسول الله ﷺ فى تعبير عجيب ، فالتقوى هبة عظيمة ، يختار الله لها القلوب بعد امتحان واختبار ، وبعد تخليص وتمحيص ، فلا يضعها فى قلب إلا وقد تهيأ لها ، وقد ثبت أنه يستحقها ، والذين يغضون أصواتهم عند رسول الله قد اختبر الله قلوبهم وهيأها لتلقى تلك الهبة ، هبة التقوى، وقد كتب لهم معها وبها المغفرة والأجر العظيم، إنه الترغيب العميق بعد التحذير المخيف ، بها يربى الله قلوب عباده المختارين ، ويعدها للأمر العظيم الذى نهض به الصدر الأول على هدى من هذه التربية ونور ، وعرف علماء هذه الأمة وقالوا : إنه يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ كما كان يكره فى حياته ﷺ احتراما له فى كل حال .

ثم أشار السياق إلى حادث وقع من وفد بنى تميم حين قدموا على النبى ﷺ فى العام التاسع ، وكانوا أعرابا جفاة ، فنادوا من وراء حجرات أزواج النبى ﷺ يا محمد اخرج لنا ، فكره النبى ﷺ هذه الجفوة وهذا الإزعاج ، فوصفهم الله بأن أكثرهم لا يعقلون ، وبين لهم الأولى والأفضل وهو الصبر والانتظار حتى يخرج إليهم ، وحبب إليهم التوبة والإنابة ، ورغبهم فى المغفرة والرحمة .

وقد وعى المسلمون هذا الأدب الرفيع ، وتجاوزوا به شخص رسول الله ﷺ إلى كل أستاذ وعالم ، لا يزعجونه حتى يخرج إليهم ، ولا يقتحمون عليه حتى يدعوهم .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ المؤمن كريم على الله وعليه أن يرعى الكرامة فى نفسه .

٢ ـ الحياة الإسلامية نظيفة المشاعر سليمة السلوك ترفع أصحابها إلى حياة الكمال .

٣ ـ المؤمن لا يتجاوز ما يأمر به الله وما ينهى عنه .

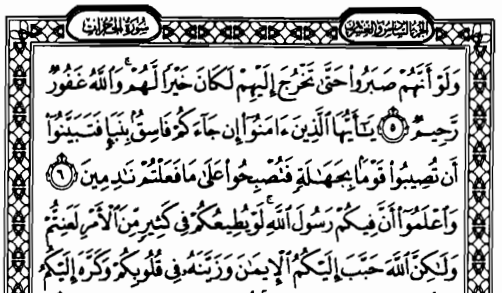

معانى الكلمات :

فاسق : غير موثوق بصدقه وعدالته .

فتبينوا : فتثبتوا . **لعنتم** : وقعتم فى الحرج والإثم . **زينه** : حسنه . **الفسوق** : الخروج عن طاعة الله . **بغت** : تجاوزت حدها بالظلم . **تلمزوا**: تعيبوا . **تنابزوا بالألقاب**: لا تداعوا بالألقاب المستكرهة .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم كيف يتلقى المؤمنون الأنباء وكيف يتصرفون فيها ؟

٢ ـ أن نعلم أن نعمة الإيمان من رحمة الله وفيضه .

٣ ـ أن نعلم أن القيم التى يراها الرجال والنساء فى أنفسهم ليست هى القيم الحقيقية التى يوزن بها الناس .

المحتوى التربوى :

يأتى هذا النداء الثالث يبين للمؤمنين كيف يتلقون الأنباء وكيف يتصرفون بها ، ويقرر ضرورة التثبت من مصدرها ، ويخصص الفاسق لأنه مظنة الكذب ، وحتى لا يشيع الشك بين الجماعة المسلمة فى كل ما ينقله أفرادها من أنباء فيقع ما يشبه الشك فى معلوماتها فالأصل فى الجماعة المؤمنة أن يكون أفرادها موضع ثقتها ، وأن تكون أنباؤهم مصدقة مأخوذاً بها ، فأما الفاسق فهو موضع شك حتى يثبت خبره ، وبذلك يستقيم أمر الجماعة وسطا بين الأخذ والرفض لما يصل إليها من أنباء ، ولا تعجل الجماعة فى تصرف بناء على خبر فاسق ، فتصيب قوما بظلم عن جهالة وتسرع ، فتندم على ارتكابها ما يغضب الله ، وتجانب الحق والعدل فى اندفاع .

ومدلول الآية عام وهو يتضمن مبدأ التمحيص والتثبت من خبر الفاسق ، فأما الصالح فيؤخذ بخبره ؛ لأن هذا هو الأصل فى الجماعة المؤمنة ، وخبر الفاسق استثناء ، والأخذ بخبر الصالح جزء من منهج التثبت لأنه أحد مصادره .

وجاءت الآية التالية تذكرهم بالحقيقة الضخمة والنعمة الكبيرة التى تعيش بينهم ليدركوا قيمتها وينتبهوا دائما لوجودها وهى أن فيهم رسول الله ، وهى حقيقة تتصور بسهولة ؛ لأنها

وقعت ووجدت ، ولكنها عند التدبر تبدو هائلة لا تكاد تتصور ، وهل من اليسير أن يتصور الإنسان أن تتصل السماء بالأرض صلة دائمة حية مشهودة ، فتقول السماء للأرض ، وتخبر أهلها عن حالهم وجهرهم وسرهم ، وتقوِّم خطأهم أولًا بأول ، ويفعل أحدهم الفعلة ويقول أحدهم القولة ، ويسر أحدهم الخالجة فإذا السماء تطلع ، وإذا الله جلا جلاله ينبئ رسوله بما وقع ، ويوجهه لما يفعل وما يقول فى هذا الذى وقع ، وإنه لنبأ عظيم ، وإنها لحقيقة هائلة قد لا يحس بضخامتها من يجدها بين يديه ومن ثم كان التنبيه ؛ اعلموا هذا قدره ، وقدروه حق قدره فهو أمر عظيم ، ولو أطاعهم فيما يعن لهم أنه خير لعنتوا وشق عليهم الأمر ، فالله أعرف منهم بما هو خير لهم ورسوله رحمة لهم فيما يدبر لهم ويختار ، فعليهم أن يتركوا أمرهم لله ورسوله .

ثم يوجههم إلى نعمة الإيمان الذى هداهم إليه ، وحرك قلوبهم لحبه ، وكشف لهم عن جماله وفضله ، وعلق أرواحهم به ، وكره إليهم الكفر والفسوق والمعصية ، وكان هذا كله من رحمته وفيضه ، فاختيار الله لفريق من عباده ليشرح صدورهم للإيمان فضل من الله ونعمه ، دونها كل فضل ونعمة ، والذى يستوقف النظر هنا هو تذكيرهم بأن الله هو الذى أراد بهم هذا الخير ، وهو الذى خلص قلوبهم من الشر : الكفر والفسوق والعصيان ، وهو الذى جعلهم بهذا راشدين فضلا منه ونعمة ، وأن ذلك كله كان عن علم منه وحكمة ، وفى تقرير هذه الحقيقة إيحاء لهم كذلك بالاستسلام لتوجيه الله وتدبيره إلى هذا الخير والاطمئنان إلى ما وراءه من خير عليهم وبركة ، فالله يختار لهم الخير ، ورسول الله ﷺ فيهم يأخذ بيدهم إلى هذا الخير ، وإن الإنسان ليعجل وهو لا يدرى ما وراء خطواته وإن الإنسان ليقترح لنفسه ولغيره ، وهو لا يعرف ما الخير وما الشر فيما يقترح .

وينتقل السياق إلى قاعدة تشريعية عملية لصيانة المجتمع المؤمن من الخصام والتفكك ، تحت النزوات والاندفاعات تأتى تعقيبا على تبين خبر الفاسق ، وعدم العجلة والاندفاع وراء الحمية والحماسة ، قبل التثبت والاستيقان ، والقرآن قد واجه ـ أو هو يفترض ـ إمكان وقوع القتال بين طائفتين من المؤمنين ، ويستبقى لكلتا الطائفتين وصف الإيمان مع اقتتالهما ، ومع احتمال أن إحداهما قد تكون باغية على الأخرى ، بل مع احتمال أن تكون كلتا هما باغية فى جانب من الجوانب ؛ وهو يكلف الذين آمنوا أن يقوموا بالإصلاح بين المتقاتلين ، فإن بغت إحداهما فلم تقبل الرجوع إلى الحق ، ومثله أن تبغيا معا برفض الصلح ، فعلى المؤمنين أن يقاتلوا البغاة إذن حتى يرجعوا إلى أمر الله ، فإذا تم قبول البغاة لحكم الله ، قام المؤمنون بالإصلاح القائم على العدل الدقيق طاعة لله وطلبا لرضاه، فالله يحب المقسطين

ويعقب السياق على هذه الدعوة باستجاشة قلوب الذين آمنوا واستحياء الرابطة الوثيقة بينهم ، والتى جمعتهم بعد تفرق ، ومما يترتب على هذه الأخوة أن يكون الحب والسلام والتعاون والوحدة هى الأصل فى الجماعة المسلمة ، والإصلاح القائم على تقوى الله مطلوب ، فتقوى الله تحقيق للرحمة لمن اتقاه .

والمجتمع الفاضل الذى يقيمه الإسلام بهدى القرآن مجتمع له أدب رفيع ، ولكل فرد فيه كرامته التى لا تمس ، وهى من كرامة المجموع ، ولمز أى فرد هو لمز لذات النفس ؛ لأن الجماعة كلها وحدة ، كرامتها واحدة ، والقرآن فى هذه الآية يهتف للمؤمنين بذلك النداء الحبيب يناديهم بالمؤمنين ، وينهاهم أن يسخر قوم بقوم أى : رجال برجال فلعلهم خير منهم عند الله ، أو أن يسخر نساء من نساء فلعلهن خير منهن فى ميزان الله ، وفى التعبير إيحاء خفى بأن القيم الظاهرة التى يراها الرجال فى أنفسهم ويراها النساء فى أنفسهن ليست هى القيم الحقيقية التى يوزن بها الناس ، فهناك قيم أخرى قد تكون خافية عليهم يعلمها الله ويزن بها العباد ، وقد يسخر الرجل الغنى من الرجل الفقير ، والرجل القوى من الرجل الضعيف ، والرجل السوى من الرجل المؤوف ، وقد يسخر الذكى الماهر من الساذج الخام ، وقد يسخر ذو الأولاد من العقيم ، وذو العصبة من اليتيم ، وقد تسخر الجميلة من القبيحة ، والشابة من العجوز ، والمعتدلة من المشوهة والغنية من الفقيرة ، هذه وأمثالها من قيم الأرض ليست هى المقياس ، فميزان الله يرفع ويخفض بغير هذه الموازين .

ولكن القرآن لا يكتفى بهذا الإيحاء ، بل يستجيش عاطفة الأخوة الإيمانية ، ويذكر الذين آمنوا بأنهم نفس واحدة من يلمزها فقد لمزها ، واللمز : العيب ، ومن السخرية ، واللمز التنابز بالألقاب التى يكرهها أصحابها ، ويحسون فيها سخرية وعيبا ، ومن حق المؤمن على المؤمن ألا يناديه بلقب يكرهه ويزرى به ، ومن أدب المؤمن ألا يؤذى أخاه ، وقد غير رسول الله ﷺ أسماء وألقابا كانت فى الجاهلية لأصحابها بما يزرى بأصحابها أو يصفهم بوصف ذميم .

والآية تستثير معنى الإيمان ، وتحذر المؤمنين من فقدان هذا الوصف الكريم ، والفسوق عنه والانحراف بالسخرية واللمز والتنابز ، فهو شىء يشبه الارتداد عن الإيمان وتهدد باعتبار هذا ظلما ، والظلم أحد التعبيرات عن الشرك ، وبذلك تضع قواعد الأدب النفسى لذلك المجتمع الفاضل الكريم .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ يجب التثبت فى الأخبار ، حتى لا يؤدى عدم التثبت إلى نتائج سيئة وآثار ضارة بالأفراد والمجتمعات .

٢ ـ يجب أن نصدق المؤمنين الموثوق بهم فيما ينقلون إلينا من أخبار وأقوال ما دمنا لم نجرب عليهم كذبا .

٣ ـ على المؤمنين أن يقوموا بواجب الإصلاح بين المتخاصمين .

٤ ـ لا يجوز لمسلم ولا مسلمة أن يسخر أو يستهزئ بإنسان مهما كان أقل منه فى مال أو جسم أو مكانة اجتماعية

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ
وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ
يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ
رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ
قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا
وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ
الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ
﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ
يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ
يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

الحزب ٥٢

معانى الكلمات :

لا تجسسوا : لا تتبعوا عورات المسلمين .

يغتب : يذكر أخاه بما يكره إن كان فيه .

آمنا : صدقنا بقلوبنا وألسنتنا .

يلتكم : ينقصكم .

يرتابوا : يشكوا .

أتعلّمون : أتخبرون .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نتعلم كيف نحافظ على حرمات الأشخاص به وكراماتهم وحرياتهم .

٢ ـ أن نعلم أن الناس من أصل واحد خلقوا ليتعارفوا ويتعاونوا .

٣ ـ أن نتعرف على حقيقة الإيمان وأنه أكبر المنن على الإنسان من الله .

المحتوى التربوى :

يقيم السياق سياجا آخر فى هذا المجتمع الفاضل الكريم ، حول حرمات الأشخاص به وكراماتهم وحرياتهم ، بينما هى تعلم الناس كيف ينظفون مشاعرهم وضمائرهم فى أسلوب مؤثر عجيب ، فيأمرهم باجتناب كثير من الظن فلا يتركوا ، نفوسهم نهبا لكل ما يهجس فيها حول الآخرين من ظنون وشبهات وشكوك ، وما دام النهى منصبا على أكثر الظن ، والقاعدة أن بعض الظن إثم ، فإن إيحاء هذا التعبير للضمير هو اجتناب الظن السيئ أصلا ؛ لأنه لا يدرى أى ظنونه تكون إثما . وبهذا يطهر القرآن الضمير من داخله أن يتلوث بالظن السيئ ، فيقع فى الإثم ، ويدعه نقيا بريئا من الهواجس والشكوك .

ثم يستطرد السياق فى ضمانات المجتمع إلى مبدأ آخر يتصل باجتناب الظنون ، وهو النهى عن التجسس ، والتجسس قد يكون هو الحركة التالية للظن ، وقد يكون حركة ابتدائية لكشف

العورات ، والاطلاع على السوءات والقرآن يقاوم هذا العمل الدينى من الناحية الأخلاقية ، فللناس حرياتهم وحرماتهم وكراماتهم التى لا يجوز أن تنتهك فى صورة من الصور ، ولا أن تمس بحال من الأحوال ، ولا يوجد مبرر ـ مها يكن ـ لانتهاك حرمات الأنفس والبيوت والأسرار والعورات ، حتى ذريعة تتبع الجريمة وتحقيقها لا تصلح فى النظام الإسلامى ذريعة للتجسس على الناس .

بعد ذلك يجىء النهى عن الغيبة فى تعبير عجيب ، فلا يغتب بعضكم بعضا ، ثم يعرض مشهداً تتأذى له أشد النفوس كثافة وأقل الأرواح حساسية ، مشهد الأخ يأكل لحم أخيه ميتا .

قال ابن الأثير : « فإنه كنى عن الغيبة بأكل الإنسان لحم إنسان آخر مثله ، ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله ميتا، ثم جعل ما هو الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة » .

ثم يبادر فيعلن عنهم أنهم كرهوا هذا الفعل المثير للاشمئزاز ، وأنهم إذن كرهوا الاغتياب ، ثم يعقب على كل ما نهاهم عنه فى الآية باستجاشة شعور التقوى ، والتلويح لمن اقترف من هذا شيئا أن يبادر بالتوبة تطلعا للرحمة ، وبمثل هذا العلاج الثابت المطرد تطهر المجتمع الإسلامى وارتفع .

ثم يهتف السياق بالإنسانية جميعا على اختلاف أجناسها وألوانها ، ليردها إلى أصل واحد وإلى ميزان واحد ، هو الذى تقوم به تلك الجماعة المختارة الصاعدة إلى ذلك الأفق السامق ، فيا أيها الناس ، يا أيها المختلفون أجناسا وألواناً ، المتفرقون شعوبا وقبائل ، إنكم من أصل واحد فلا تختلفوا ولا تتفرقوا ولا تتخاصموا ولا تذهبوا بددا ، فالغاية من جعلكم شعوبا وقبائل ، إنها ليست للتناحر والخصام إنما هى للتعارف والوئام ، فأما اختلاف الألسنة والألوان ، واختلاف الطباع والأخلاق ، واختلاف المواهب والاستعدادات ، فتنوع لا يقتضى النزاع والشقاق ، بل يقتضى التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات ، وليس اللون والجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعانى من حساب فى ميزان الله ، إنما هنالك ميزان واحد تتحدد به القيم ، ويعرف به فضل الناس وهو التقوى ، والكريم حقا هو الكريم عند الله ، وهو يزنكم عن علم وعن خبرة بالقيم والموازين .

وفى ختام السورة تأتى المناسبة لبيان حقيقة الإيمان وقيمته ، فى الرد على الأعراب الذين قالوا آمنا ، وهم لا يدركون حقيقة الإيمان ، والذين منوا على رسول الله ﷺ أنهم أسلموا وهم لا يقدرون منة الله على عباده بالإيمان ، ومع هذا فإن كرم الله اقتضى أن يجزيهم على كل عمل صالح يصدر منهم لا ينقصهم منه شيئا ، فهذا الإسلام الظاهر الذى لم يخالط القلب فيستحيل إيمانا واثقا مطمئنا ، هذا الإسلام يكفى لتحسب لهم أعمالهم الصالحة ، فلا تضيع كما تضيع أعمال الكفار ، ولا ينقص من أجرها شىء عند الله ما بقوا على الطاعة والاستسلام ، ذلك أن الله أقرب إلى المغفرة والرحمة فيقبل من العبد أول خطوة ، ويرضى منه الطاعة والتسليم ، إلى أن يستشعر قلبه الإيمان والطمأنينة .

ثم بين لهم حقيقة الإيمان ، فالإيمان تصديق القلب بالله وبرسوله التصديق الذى لا يرد عليه شك ولا ارتياب ، التصديق الذى ينبثق منه الجهاد بالمال والنفس فى سبيل الله ، وأصحاب هذا الإيمان هم الصادقون فى عقيدتهم ، الصادقون حين يقولون إنهم مؤمنون ، فإذا لم تتحقق تلك المشاعر فى القلب ، ولم تتحقق آثارها فى واقع الحياة ، فالإيمان لا يتحقق والصدق فى العقيدة وفى ادعائها لا يكون .

ثم يستطرد مع الأعراب يعلمهم أن الله عالم بقلوبهم وما فيها ، وأنه هو يخبرهم بما فيها ولا يتلقى منهم العلم عنها ، والإنسان يدعى العلم ولا يعلم نفسه ولا يستفر فيها من مشاعر ولا يدرك حقيقة نفسه ولا حقيقة مشاعره ، والله يعلم كل شىء فى السموات والأرض علما حقيقيًّا لا بظواهرها وآثارها ، ولكن بحقائقها وماهياتها ، وعلما شاملا محيطا غير محدود ولا موقوت فهو بكل شىء عليم .

ويتوجه الخطاب إلى الرسول ﷺ عن منِّهم عليه بالإسلام فجاءهم الرد ألا يمنوا بالإسلام وأن المنة لله عليهم لو صدقوا فى دعوى الايمان ، فالايمان هو كبرى المنن التى ينعم بها الله على عبد من عباده فى الأرض ، إنه أكبر من منة الوجود الذى يمنحه الله ابتداء لهذا العبد ، وسائر ما يتعلق بالوجود من آلاء الرزق والصحة والمتاع ، إنها المنة التى تجعل للوجود الإنسانى حقيقة مميزة ، وتجعل له فى نظام الكون دوراً أصيلا عظيما ، فالإيمان قوة دافعة وطاقة مجتمعة، فما تكاد حقيقته تستقر فى القلب حتى تتحرك لتعمل ولتحقق ذاتها فى الواقع ، ولتوائم بين صورتها المضمرة وصورتها الظاهرة ، وصدق الله العظيم ، فالايمان المنة الكبرى وماذا وجد مَنْ فقدها ولا تقلب فى أعطاف النعيم وهو يتمتع ويأكل كما تأكل الأنعام .

والذى يعلم غيب السموات والأرض يعلم غيب النفوس ، ومكنون الضمائر ، وحقائق الشعور ، ويبصر ما يعمله الناس ، فلا يستمد علمه بهم من كلمات تقولها ألسنتهم ، ولكن من مشاعر تجيش فى قلوبهم ، وأعمال تصدق ما يجيش فى القلوب .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ من كبائر الذنوب التى يجب على المسلم أن يجتنبها التجسس لكشف عورات المسلمين والغيبة ، وسوء الظن.

٢ ـ يجب أن نشكر الله تعالى على نعمة الإيمان والهداية إلى طريق الخير ، وعلى نعمة التثبيت على الإيمان .

٣ ـ يجب على المسلم ألا يستكثر أعمال الخير التى يوفقه الله إليها ، فالله تعالى غنىٌ عن عباده ، وطاعتهم يعود نفعها عليهم .